تيار الذرائعية أو التيار العملي أو الأداتي :(pragmatisme)

أصل المصطلح:

تعني كلمة pragmatikos الإغريقية الضليع النشيط في الشؤون العملية وتعني كلمة pragmaticus اللاتينية الماهر في الأعمال ولا سيما القانون غير أنه منذ دخول الكلمة الى الانجليزية في القرن السادس عشر وأواخر القرن السابع عشر كان مصطلح الموسوم براغماتي يزيح القانون بالمعنى الحرفي هذا ما يفسر الإيحاءات الثانوية مثل متآمر فضولي دكتاتوري وليس إلا في أواخر القرن التاسع عشر وبواكر القرن العشرين اكتسب مصطلح البراغماتية معنى فلسفي أكثر تخصص فمثلا الحل البراغماتي مرادف للحل العملي القابل للتنفيذ.

مؤسسي التيار البراغماتي وماهيته:

الاجتماع منعقد على أن ممثلي البراغماتية الأمريكية حسب قول جون تشارلز الحركة التي تعرف في الفلسفة باسم البراغماتية والاداتية والتجريبية هي في الواقع تعبير عن الثقافة الأمريكية وأبرز ملامحها صفتها التجريبية فهي تقبل صفة الخبرة الإنسانية العادية منبعا نهائيا وامتحانا أخيرا لكل معرفة وقيمة ولقد ولد مؤسسها الأربعة تشارلس بيرس(1833 -1914) ويليام جيمس (1842 -1910) جون ديوي (1859-1952) و جورج هيربرت ميد (1863 -1931) في أمريكا فلسفة لا ترجع في تاريخها إلى أكثر من قرن ونصف من الزمن وتعبر عن المزاج العالمي الجديد المعروف بأمريكا.

الذرائعية هي التيار الفكري الأمريكي بشكل نموذجي فهو يتوخى المعرفة من زاوية فعاليتها لا من زاوية حقيقتها المطلقة.

رغم ان جون ديوي في معرض حديثه عن تأسيس المذهب من قبل بيرس يقول انه ليس فكرة أمريكية بحة كما يعتقد بعض الناس ذلك أن اصطلاح براغماتية قد نشأ في ذهنه من دراسته لكانط.

وكذلك اللون الجديد للبراغماتية أو الحركة الجديدة التي تسمى الأداتية instrumentalism وبالنظر في أصولها التاريخية نجد عاملان مهمان الأول سيكولوجي والثاني نقدي لنظرية المعرفة والمنطق الذي ساد في المدرسة بعد الكانتية عند أمثال لوتز وبوزانكيه وبرادلي فقد كان تأثير هذه المدرسه بعد الكانطية كما كانت نقطة البداية عند بيوس هي كانط وعند جيمس هي التجريبية الإنجليزية.

المبادئ الأساسية للفلسفة الذرائعية ورؤيتها للحقيقة:

تعتبر الذرائعية أن لا وجود لحقائق مطلقة بل لمعارف نافعة أثبتتها التجربة أو تخلت عنها ينطبق ذلك عن العقائد العادية وعلى المعارف العلمية على القيم الأخلاقية وعلى العقائد السياسية، فنجد في كتابات عن ويليام جيمس الفيلسوف الأمريكي المعاصر ريتشارد روتسي في كتابه نتائج البراغماتية 1982 التشكيك في مصطلح الحقيقة ما دام يقرأونه بالإصرار التقليدي الميتافيزيقي على أن الحقيقة خالدة وخارج المصالح الإنسانية في هذا التقليد تدرك الحقيقة باعتبارها توجد في أنقى أشكالها في قوانين الكيمياء والفيزياء المنغلقة بالطبع على الرغبات الإنسانية ومهارات وضع الأدوات ووفقا لذلك فإن هدف الفلسفة التقليدية هو الاقتراب من معيار الحقيقة هذا والدنو بالتدريج من تمثيل دقيق لقوانين الكون الفيزيائية وابتكار قوانين شؤون إنسانية يكون لها المنزلة نفسها العابرة للتاريخ والغير القابلة للتغيير، غير أن الفلسفة البراغماتية تقضي على فكرة الحقيقة الخالصة وتحاول أن تربط الحقيقة بأصول عينيه لا تجريدية وان تجعل للاعتبارات العملية لا النظرية الخالصة أثرها في إقرار الحقائق وهنا تتقاطع مع فلسفة الألماني نيتشه 1844/ 1900 في الربط بين الحقيقة والحياة والرؤية البراغماتية للحقيقة نجدها في نظرة جيمس لطبيعة الحق وتتلخص في عبارته المشهورة " أن نستدبر الأشياء والمبادئ والمقولات والضروريات المزعومة الأولى ونستقبل الأشياء والثمرات والنتائج والوقائع الأخيرة "

ويرى جون ديوي في إطار فلسفته الأداتية أن عيب الفلسفات القديمة أنها فصلت التفكير عن تيار الخبرة الإنسانية و مجرى الحياة وانتزعت معه صفة جوهرية للكائن الحي هي انه يعيش في زمان، وسميت أوجه

التفكير بأسماء مثل التصور، والحكم، والاستدلال والتأمل غير أن التفكير الاداتي يتميز بصفتين أساسيتين :

- يعرف التفكير بالوظيفة وبالعمل الذي يؤدي والنتائج التي تترتب عليه.

- ان التعديل او التنظيم الجديد الذي يتم بهذا التفكير إنما هو شيء طبيعي لأن التفكير ينتهي في الخبرة التي هي تعديل واقعي لموقف طبيعي سابق، وعموما يمكن تلخيص روح الذرائعية في النقاط التالية:

-إنها الروح التي لا تؤمن بالجبر بل إن ظروف الحياة يمكن تحسينها بالتصميم على العمل الذي يسترشد بالعقل.

-تعتقد الفلسفة الذرائعية أن التفكير مرتبط ارتباطا ملازما بالعمل.

-وان النظريات والمذاهب ما هي فروض للعمل تمتحن بما ينتج عنها في المواقف الفعلية للحياة.

وان المثل الأخلاقية فارغة عقيمة إذا انفصلت عن وسائل تحقيقها.

-وان الحقيقة ليست ثابتة وليست نظاما كاملا بل الحقيقة عملية جارية في تغير مستمر.

-وان الإنسان ليس ألعوبة في يد قوى خارجية ولكنه يستطيع إعادة تشكيل الظروف التي تصوغ خبرته بعزمه وإراداته.

-وان الناس في استطاعتهم تنمية نشاطها ومؤسساتهم ومبادئهم التي تنظم سلوكهم.

وتجدر الإشارة إلى الذرائعية الجديدة التي تتشكل من العديد من الفلاسفة الأمريكيين المرتبطين بالتقليد الذرائعي امثال فيلار مان, نيلسون غودمان, هيلاري بوغان, دونالد دايفيد سون, ريتشارد رورتي .